توحيد الله تعالى في عبادة التفكر

مسائل عقدية وأحكام

كتاب تفاعلي

منى الشمري

سلسلة
العبادات القلبية

توحيد الله تعالى في عبادة التفكر

مسائل عقدية وأحكام

(كتاب تفاعلي)

جمع وترتيب
منى الشمري

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا
مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)}

[آل عمران:١٩٠-١٩١]

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا
مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)}

[آل عمران:١٩٠-١٩١]

سلسلة
العبادات القلبية

توحيد الله تعالى في عبادة التفكر

مسائل عقدية وأحكام

(كتاب تفاعلي)

جمع وترتيب
منى الشمري

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)}

[آل عمران:١٩٠-١٩١]

المقدمة

الحمد لله الذي جعل له في كل شيء آية تدل على أنه واحد، والصلاة والسلام على نبيه محمد، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا وبعد،

فقد كرّم الله تعالى الإنسان، وميزه بالعقل؛ ليجول بفكره في الكون تبصرًا وتأملاً وتدبرًا، ويطلق سمعه وبصره وقلبه في آيات الله تعالى وبديع صنعه الذي أتقن.

إن من يتفكر بسنن الله تعالى الكونية وآياته الشرعية ويعتبر بها تعلو همته في طلب المعالي؛ ذلك لأن فكره وقلبه قد استنار بلطائف المعاني، واستبصر بأسرار الشريعة.

ومن يتفكر بعظمة الخالق البارئ المصور يحيى قلبه، وينشرح صدره، وتقوى عزيمته في اغتنام الأوقات بما يرضي الله تعالى، فيزداد إيمانًا وهدىً.

وكما قيل:

إذا المرء كانت له فكرة ... ففي كل شيء له عبرة

المحتويات

١

مفهوم التفكر وما يقاربه من مصطلحات

(فكر) الفاء والكاف والراء: تردد القلب في الشيء، يقال تفكر: إذا ردد قلبه معتبرًا.

ورجل فكير: كثير الفكر.(١)

والاسم الفِكْرُ والفِكْرَةُ. والمصدر الفَكْرُ بالفتح.

قال يعقوب: يقال ليس لي في هذا الأمر فِكْرٌ، أي ليس لي فيه حاجة.

قال: والفتح فيه أفصح من الكسر. وأفْكَرَ في الشيء وفَكَّرَ فيه وتَفَكَّرَ، بمعنًى.(٢)

(١) معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس القزويني – ج٤ ص٤٤٦
(٢) معجم الصحاح في اللغة والعلوم – أبو نصر الجوهري - ص٣٩٦٢

التفكر: تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب.

التفكر: سراج القلب يرى به خيره وشره، ومنافعه ومضاره، وكل قلب لا تفكر فيه فهو في ظلمات يتخبط.

وقيل: هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء.

وقيل: التفكر: تصفية القلب بموارد الفوائد.

كتاب التعريفات – علي بن محمد الشريف الجرجاني – ص ٦٣

التفكر: هو أن يعمل الإنسان فكره في الأمر حتى يصل فيه إلى نتيجة.

وقد أمر الله تعالى به، وحض عليه في كتابه؛ لما يتوصل إليه الإنسان به من المطالب العالية والإيمان واليقين.(١)

التفكر: إعمال الفكر بحيث يدور كارًا وراجعًا يمينًا وشمالا، حتى يتبين له ما يتبين بتفكر.

وضد التفكر: الغفلة، وأن يكون القلب حجرًا أملس لا يقر عليه شيء، فلو قر عليه حبة من تراب أطارتها الرياح وجرت بها المياه،

فالإنسان المتفكر هو الذي ليس بغافل، بل يدير فكره يمينًا وشمالا، ذاهبًا وراجعًا حتى يتبين له الأمر. (٢)

(١) كتاب شرح رياض الصالحين – محمد بن صالح العثيمين – ج ٢ ص ٢٤٤
(٢) كتاب تفسير القرآن الكريم – محمد بن صالح العثيمين – سورة الزمر ص ٣٠٠

التفكر والتدبر:

التدبر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه؛ بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرًا انكشفت له معانٍ لم تكن بادية له بادئ النظر. (١)

تدبر الشيء معناه: التفكر فيه، كأن الإنسان يستدبره مرة ويستقبله أخرى، فهو يكرر اللفظ ليفهم المعنى.(٢)

(١) كتاب التحرير والتنوير– محمد الطاهر ابن عاشور– ج ٢٣ ص ٢٥٢
(٢) كتاب شرح العقيدة الواسطية – محمد بن صالح العثيمين – ج ١ ص ٤٦٠

التفكر والتدبر:

ظهر جليًا من خلال ما ذكره المفسرون أن الكثيرين يفسرون التدبر بالتفكر؛ وذلك لما بينهما من المقاربة الشديدة.

وقد فرق بعضهم بأن التدبر: تصرف القلب بالنظر في العواقب، وأما التفكر: فتصرفه بالنظر في الدلائل.

والذي يظهر أنهما يرجعان إلى معنى واحد في الأصل، وقد يفترقان في بعض المعاني الدلالية الخاصة بكل لفظة؛ وذلك أن كلمة (التدبر) تحمل معنى زائدًا، وهو (دبر الشيء وعاقبته) ومن هنا جاء التفريق السابق بينهما.

ولا يخفى أن الواقع في الاستعمال أوسع من ذلك؛ حيث صار يعبر بكل منهما من غير مراعاة لمتعلق النظر في كل لفظة، والله أعلم.

كتاب الخلاصة في تدبر القرآن الكريم – خالد بن عثمان السبت – ص ٢٠

التفكر والتذكر:

التذكر والتفكر منزلان يثمران أنواع المعارف، وحقائق الإيمان والإحسان؛ فالعارف لا يزال يعود تفكره على تذكره، وتذكره على تفكره، حتى يفتح قفل قلبه بإذن الفتاح العليم.

قال الحسن البصرى: (ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت).

كتاب مدارج السالكين – ابن القيم – ج١ ص٤٤٠

التفكر والتذكر:

طريقة القرآن أن يجعل آياته للتبصر والتذكر؛ كما قال تعالى في سورة ق: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨)} [ق: ٧ - ٨]

فالتبصرة: التعقل، والذكرى: التذكر، والفكر باب ذلك ومدخله، فإذا فكر تبصر، وإذا تبصر تذكر.
فجاء التذكر في الآية لترتيبه على العقل المرتب على الفكر، فقدم الفكر إذ هو الباب والمدخل، ووسط العقل إذ هو ثمرة الفكر ونتيجته، وأخّر التذكُّرَ إذ هو المطلوبُ من الفكر والعقل.
وإذا عرفت معنى كون آيات الرب تبارك وتعالى تبصرة وذكرى؛ يتبصر بها من عمى القلب، ويتذكر بها من غفلته فإن المضاد للعلم إما عمى القلب وزواله بالتبصر، وإما غفلته وزواله بالتذكر.
وأحسن ما أنفقت فيه الأنفاس التفكر في آيات الله وعجائب صنعه، والانتقال منها إلى تعلق القلب والهمة به دون شيء من مخلوقاته.

كتاب مفتاح دار السعادة – ابن القيم – ج٢ ص٦٠٦

التفكر والتأمل:

التأمل: هو استعمال الفكر.
ومعنى «تأمل» : أن في هذا المحل دقة، ومعنى «فتأمل» أن في هذا المحل أمرا زائدا على الدقة بتفصيل.(١)

جاء في لسان العرب: التفكر التأمل، والفكر: إعمال الخاطر في شيء.
الجوهري: التفكر التأمل. (٢)

(١) معجم الكليات – أبو البقاء الكفوي – ص ٢٨٧
(٢) معجم لسان العرب - جمال الدين ابن منظور - ج٥ ص٦٥

التفكر والتعقل:

يظهر الفرق بينهما من خلال أن التعقل هو ربط المعلومات الناتجة عن الإدراك الحسي لها في صورة منظمة، وأن التفكر هو تعميق الفكر في هذه الصورة، فالتعقل من المراحل الأساسية في عملية التفكر.

التفكر والتفقه:

اعلم أرشدك الله أن بين يدي التفقه التفكر، فإن الله سبحانه وتعالى دعا عباده في غير آية من كتابه إلى التحرك بإحالة النظر العميق في التفكر في ملكوت السماوات والأرض، وإلى أن يمعن المرء النظر في نفسه وما حوله؛ فتحًا للقوى العقلية على مصراعيها، وحتى يصل إلى تقوية الإيمان وتعميق الأحكام والانتصار العلمي {كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة:٢٤٢] {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} [الأنعام:٥٠]

وعليه فإن "التفقه" أبعد مدى من التفكر؛ إذ هو حصيلته وإنتاجه، وإلا {فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} [النساء:٧٨]
لكن هذا التفقه محجوز بالرهان، محجور عن التشهي والهوى: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة:١٢٠]

كتاب حلية طالب العلم – بكر أبو زيد – ص ١٧٩

يقربُ من معنى التَّدبُّرِ التَّفكُّرُ والتَّذكُّرُ والنَّظرُ والتَّأملُّ والاعتبارُ والاستبصارُ، وقد وردت هذه المعاني في القرآن في مواطن.

التدبر يقع في المعلوم، وهو معرفة التفسير والاستنباط من القرآن، أما ما لا يدركه العقل من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها فالواجب الإيمان بها دون الدخول في اجتهادات لبيانها، وهي مما لا يحصل بيانه من جهة العقل، ومتى وقع طلبها من جهته حصل الانحراف والزيغ في شرع الله.

ويسمى تفكرًا؛ لأنه استعمال الفكرة في ذلك، وإحضاره عنده.

ويسمى تذكرًا؛ لأنه إحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠١]

ويسمى نظرًا؛ لأنه التفات بالقلب إلى المنظور فيه.

ويسمى تأملا؛ لأنه مراجعة للنظر كرة بعد كرة، حتى يتجلى له وينكشف لقلبه.

ويسمى اعتبارًا، وهو افتعال من العبور؛ لأنه يعبر منه إلى غيره، فيعبر من ذلك الذي قد فكر فيه إلى معرفة ثالثة، وهي المقصود من الاعتبار، ولهذا يسمى عبرة، وهي على بناء الحالات كالجلسة والركبة والقتلة إيذانا بأن هذا العلم والمعرفة قد صار حالا لصاحبه يعبر منه إلى المقصود به، وقال الله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى} [النازعات: ٢٦].

كتاب مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر– مساعد بن سليمان الطيار – ص ٢٠٢

٢

دور التفكر في زيادة الإيمان

أسباب زيادة الإيمان أربعة:

الأول: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ فإنه كما ازداد الإنسان معرفة بالله وأسمائه وصفاته ازداد إيمانه.

الثاني: النظر في آيات الله الكونية والشرعية:

قال الله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)} [الغاشية: ١٧ - ٢٠] وقال تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس: ١٠١] وكلما ازداد الإنسان علمًا بما أودع الله تعالى في الكون من عجائب المخلوقات ومن الحكم البالغات ازداد إيمانًا بالله عز وجل، وكذلك النظر في آيات الله الشرعية يزيد الإنسان إيمانًا بالله عزَّ وجلَّ؛ لأنك إذا نظرت إلى الآيات الشرعية وهي الأحكام التي جاءت بها الرسل وجدت فيها ما يبهر العقول من الحكم البالغة والأسرار العظيمة التي تعرف بها أن هذه الشريعة نزلت من عند الله، وأنها مبنية على العدل والرحمة، فتزداد بذلك إيمانًا.

الثالث: كثرة الطاعات وإحسانها، لأن الأعمال داخلة في الإيمان، وإذا كانت داخلة فيه لزم من ذلك أن يزيد بكثرتها.

الرابع: ترك المعصية تقربًا إلى الله عزَّ وجلَّ، فإن الإنسان يزداد بذلك إيمانًا بالله عزَّ وجلَّ.

كتاب شرح العقيدة الواسطية – محمد بن صالح العثيمين – ج٢ ص ٢٣٤

التفكر من أسباب الإيمان:

من أسباب الإيمان ودواعيه التفكر في الكون، في خلق السماوات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة، والنظر في نفس الإنسان، وما هو عليه من الصفات.

فإن ذلك داع قوي للإيمان، لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدال على قدرة خالقها وعظمته، وما فيها من الحسن والانتظام والإحكام الذي يحير الألباب، الدال على سعة علم الله وشمول حكمته، وما فيها من أصناف المنافع والنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، الدالة على سعة رحمة الله وجوده وبره.
وذلك كله يدعو إلى تعظيم مبدعها وبارئها وشكره، واللهج بذكره، وإخلاص الدين له، وهذا هو روح الإيمان وسرّه.

كتاب التوضيح والبيان لشجرة الإيمان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ص٧٧

التفكر من أسباب الإيمان:

وكذلك النظر إلى فقر المخلوقات كلها، واضطرارها إلى ربها من كل الوجوه، وأنها لا تستغني عنه طرفة عين خصوصا ما تشاهده في نفسك من أدلة الافتقار وقوة الاضطرار.

وذلك يوجب للعبد كمال الخضوع، وكثرة الدعاء والتضرع إلى الله في جلب ما يحتاجه من منافع دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ويوجب له قوة التوكل على ربه، وكمال الثقة بوعده، وشدة الطمع في بره وإحسانه.

وبهذا يتحقق الإيمان، ويقوى التعبد؛ فإن الدعاء مخ العبادة وخالصها.

وكذلك التفكر في كثرة نعم الله وآلائه العامة والخاصة، التي لا يخلو منها مخلوق طرفة عين، فإن هذا يدعو إلى الإيمان.

كتاب التوضيح والبيان لشجرة الإيمان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ص٧٧

حفظ الإيمان بإدامة التفكر:

الحث والترغيب على التفكر في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة.(١)

قوله:{وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[آل عمران:١٩١] فثبت بذلك أن حفظ الإيمان بإدامة التفكر والنظر في الآيات والفكر ليرسخ في القلب منه ما علق به، ويزداد على الآيات تأكداً بازدياد الشواهد التي تدرك بالفكر ووضوحها على الأيام من أحق الأمور بصرف الهمم إليه، والعكوف في أكثر الأوقات إليه.(٢)

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن السعدي – سورة يونس ص٣٥٨
(٢) كتاب المنهاج في شعب الإيمان - الحسين بن الحسن الحَلِيمي – ج١ ص٢٢٥

التفكر يزيد الإيمان قوة:

إن من أهداف التفكر السامية بعد وجوب الإيمان بالله خالقًا وربًا لهذا الكون هو ضرورة تعزيز القوة الإيمانية في القلب، وتحصينها من كل ما يمكن أن يؤثر فيها بفضل التفكر، فيما تحويه آيات الكون والوحي في طياتها، ترشد الضال إلى الإيمان بالله، وتزيد من قوة هذا الإيمان في القلب، فكما نعلم أن الإيمان أسس وأركان، دعامته الدليل والبرهان، فتفكر المؤمن في آلاء الله يوثق رابطته بالله تعالى، ويزيد من عزيمته وهمته لنشر هذا النور والطمأنينة وتعميمه على كل البشر.

وأثناء هذه العملية يدرك المؤمن وظيفته الدنيوية في إقامة شرع الله على هذه الأرض، عن طريق التفاعل الإيجابي مع مخلوقات الله، فيعمد إلى استغلالها، واستخراج منافعها، ومعرفة الحكمة منها ومن خلقها، ودلالتها على صانعها وخالقها، ومدى تحقق صفات الجمال فيها مما يعكس حكمة التقدير ودقة الإبداع، ويبرز كمال الصفات الإلهية.

التفكر في آيات الله تعالى موصل للعلم به سبحانه:

إذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفِكْر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى، وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله، من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه؛ فبهذا تعرَّف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته.

كتاب مفتاح دار السعادة – ابن القيم – ج ١ ص١٨٧

التفكر يفتح باب المعرفة:

إن التفكر في آيات الله الكونية يزيد في الإيمان، وهذا ظاهر محسوس.

وكذلك التفكر في الآيات الشرعية يزيد في الإيمان بلا شك، لكن يحتاج إلى أن يكون الإنسان بصيرًا في أحكام الشرع، حتى يعرف الحكمة في الأشياء التي شرعها الله، وهذا يخفى على بعض الناس، ولا سيما من أعرض عن ذكر الله، فإنه لا يفتح له باب المعرفة.

كتاب شرح العقيدة السفارينية – محمد بن صالح العثيمين – ج١ ص ٤٠٨

التفكر يحيي القلب بنور الإيمان:

إن من الناس من يكون حي القلب واعيه تام الفطرة؛ فإذا فكر بقلبه وجال بفكره دله قلبه وعقله على صحة القرآن، وأنه الحق، وشهد قلبه بما أخبر به القرآن، فكان ورود القرآن على قلبه نورًا على نور الفطرة. وهذا وصف الذين قيل فيهم:
{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ} [سبأ: ٦]،

وقال في حقِّهم: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} [النور: ٣٥]

فهذا نور الفطرة على نور الوحي، وهذا حال صاحب القلب الحي الواعي.

كتاب الفوائد – ابن القيم – ج ١ ص٤

التفكر يسمو بالخلق والعمل:

التفكر يوقع صاحبه من الإيمان على مالا يوقعه عليه العمل المجرد؛ فان التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له وتميز مراتبها في الخير والشر، ومعرفة مفضولها من فاضلها وأقبحها من قبيحها، ومعرفة أسبابها الموصلة إليها، وما يقاوم تلك الأسباب ويدفع موجبها، والتمييز بين ما ينبغي السعي في تحصيله، وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه.

كتاب مفتاح دار السعادة – ابن القيم – ج ١ص١٨٠

قال وهب بن منبه:

ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم، وما فهم إلا علم، وما علم إلا عمل.

وقال بشر الحافي:

لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه.

كتاب مختصر منهاج القاصدين – نجم الدين بن قدامة المقدسي – ص ٣٧٨

التفكر يهذب النفس ويصقل العقل:

التفكر عمومًا فيه تهذيب للأخلاق، وتليين لقسوة القلب، وترويح عن النفس، وزاد للعقل، وحفظ للجوارح عن الحرام، وفي الخلوة يستشعر الإنسان مراقبة الله، ويتذكر ذنوبه فيها، فتحلو المناجاة، وتعظم محاسبة النفس ومعاتبتها، فتنفلت من ربقة الحياة الدنيا، وبهذا يتمكن المتفكر من تقوية إيمانه، وتحصين نفسه، وسمو أخلاقه، فتشرق أنوار المعرفة الإلهية في قلبه، ويسير في مدارج السالكين إلى الله تعالى، ويصبح قادرًا على الانسجام في توليفة التسبيح الكونية التي تتجلى في أسمى معانيها في اليقين القلبي برسالته، وإلمامه بزمام العلم والمعرفة، وحسن تسخيره وتسييره لهذا الكون.(١)

قال ابن القيم:

إذا غذي القلب بالتذكر وسقي بالتفكر ونقي من الدغل رأى العجائب وألهم الحكمة.(٢)

(١) موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – التفكر

(٢) كتاب الفوائد – ابن القيم – ج١ ص ١٤٣

التفكر يورث الخشية:

قد يقول قائل: أن الخشية قد توجد عند طبيب وعند مهندس وعند مزارع وعند راعي غنم أكثر مما يوجد عند بعض أهل العلم، أما ما يجده الإنسان من نفسه من غير أهل العلم الشرعي مما يورث الخشية سببه التفكر والنظر، وللأطباء من هذا النصيب الأوفر، التفكر والنظر الذي يورثه ما يورثه من خشية الله جل وعلا ومعرفة آلائه هذا سببه التفكر.

كتاب دروس – عبد الكريم الخضير– ج ٢٧ ص٢

التفكر يحول العادة إلى عبادة:

تأملت على أكثر الناس عباداتهم فإذا هي عادات، فأما أرباب اليقظة فعاداتهم عبادة حقيقية؛ فإن الغافل يقول: سبحان الله عادة، والمتيقظ لا يزال فكره في عجائب المخلوقات، أو في عظمة الخالق، فيحركه الفكر في ذلك، فيقول: سبحان الله.

وكذلك يتفكرون في قبائح ذنوب قد تقدمت، فيوجب ذلك الفكر حركة الباطن وقلق القلب وندم النفس، فيثمر ذلك أن يقول قائلهم: أستغفر الله، فهذا هو التسبيح والاستغفار.
فأما الغافلون، فيقولون ذلك عادة. وشتان ما بين الفريقين.

كتاب صيد الخاطر– جمال الدين ابن الجوزي – ص ٤٠٩

الثناء على المتفكرين:

جاء الثناء على المتفكرين من أولي الألباب، هذه الفئة التي استحقت الثناء بجدارة؛ لأنها عملت بوصايا ربها، فوصلت إلى أعلى منازل السالكين إليه، فكانت بحق قدوة وجب التأسي بها.

وقد نالوا هذه المرتبة حين مدحهم الله سبحانه وتعالى في أواخر سورة آل عمران بقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)} [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وحاز أولو الألباب هذه المكانة المرموقة في رحاب الله؛ لأنهم تمسكوا بحبلي الذكر والفكر، هذا الذكر الذي ملأ القلوب وفاض على الألسنة، وكان مرافقًا لهم في كل حركاتهم وسكناتهم، ما يدل على استحضارهم للمعية الربانية في كل وقت وعلى كل حال.

فانطلقوا بأبصارهم يتفكرون ما بين السموات والأرض، فزادهم الانفتاح على كتاب الله المنظور معرفة لأسرار الوجود، وفقهًا لسننه ونظامه الدقيق، فامتلأت قلوبهم بنور الله، وفاضت خشوعًا وإنابة لرب الكون.

التفكر ينفع المؤمنين:

ليس كل أحد يعتبر ويتفكر، وليس كل من تفكر أدرك المعنى المقصود، ولهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين؛ فقال: {إِنَّ فِي ذَلِكُم لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأنعام:٩٩].

فإن المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان على العمل بمقتضياته ولوازمه، التي منها التفكر في آيات الله، والاستنتاج منها ما يراد منها، وما تدل عليه عقلا وفطرة وشرعًا.(١)

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ } [ق: ٧- ٨]

كلما كان العبد أعظم إنابة إلى الله، كان انتفاعه بالآيات أعظم، لأن المنيب مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته وهماته لربه، ورجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريبا من ربه، ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة.(٢)

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – سورة الأنعام ص٢٦٧
(٢) نفس المرجع ص٦٧٥

عن سويد بن نصر، عن عبد الله بن المبارك، عن محمد بن عجلان، عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال:

قلت لأم الدرداء: أي عبادة أبي الدرداء كانت أكثر؟

قالت: «التفكر والاعتبار»

كتاب السنن الكبرى - أبو عبد الرحمن أحمد النسائي – ج١٥ ص٤٠٤

٣

مجالات التفكر

[عن عائشة أم المؤمنين]

دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زر غبا تزدد حبا قال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسكتت ثم قالت:

لما كان ليلة من الليالي قال: (يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي) قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض،

فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: (أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ} [آل عمران: ١٩٠] الآيَةَ كلَّها.

أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٢٠) إسناده صحيح على شرط مسلم

السير في الأرض للتفكر:

دعا الله عباده إلى السير في الأرض لينظروا ويعتبروا فقال:

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ} بأبدانهم وقلوبهم {فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [الحج:٤٦] آيات الله، ويتأملون بها مواقع عبره{أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} أخبار الأمم الماضين، وأنباء القرون المعذبين، وإلا فمجرد نظر العين وسماع الأذن وسير البدن الخالي من التفكر والاعتبار غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب.

ولهذا قال: {فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج:٤٦] أي: هذا العمى الضار في الدين عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيات، وأما عمى البصر فغايته بلغة ومنفعة دنيوية.

كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – سورة الحج ص٥٤٠

السير في الأرض للتفكر:

السير بالقدم: أن يسير الإنسان في الأرض على أقدامه، أو على راحلته من بعير أو سيارة أو طائرة أو غيرها؛ حتى ينظر ماذا حصل للكافرين، وماذا كانت حال الكافرين.

وأما السير بالقلب: فهذا يكون بالتأمل والتفكير فيما نقل عن أخبارهم.
وأصح كتاب وأصدق كتاب وأنفع كتاب نقل أخبار الأولين كتاب الله عز وجل، كما قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (يوسف:١١١).

والقران مملوء من أخبار الأولين المكذبين للرسل والمؤيدين للرسل، وبين الله عاقبة هؤلاء وهؤلاء.

كتاب شرح رياض الصالحين - محمد بن صالح العثيمين - ج١ ص٥٨٩

التفكر في سنن الله تعالى في الكون:

جاء في القرآن آيات كثيرة تبحث في السنن، وتدعو الإنسان للوقوف عندها، والتأمل فيها ودراستها لاستبيانها أكثر، وهي دعوة إلى إدراك حقيقة هذه الحياة وروابطها على مدار الزمان، ووحدتها من حيث المنشأ والمصير، واكتشاف العلائق الحاكمة لها منذ خلق البشرية.

ومعرفة هذه السنن يجعل الإنسان يفهم سر هذه الحياة، ويمسك بزمام الأمور فيها، ويفقه قوانينها، ويساعده على فهم ظواهرها، وتسخيرها لتلبية حاجاته، وتيسير حياته، كما يعرفه على نتاج أعماله إن خالف هذه السنن، وعمل على الاستبداد والظلم وإثارة الفساد، فستسري عليه سنة الله بالهلاك والعقاب في الدنيا والآخرة، وإن أحسن وعمل على الإصلاح والتعمير كانت سنة النصر، والتوفيق للتقدم مصيره، وكتب له النجاح في امتحاني الدنيا والآخرة.

وقد بين الله سبيل التعرف على هذه السنن بالاعتماد على التفكر العميق في عواقب الأمور، والتدبر في الآثار وما بقي من دلائل وآثار الأقوام السابقة. وسنن الله في خلقه كثيرة، ربط الله منها عدة سنن بموضوع التفكر، وجعله أساسًا للوصول إلى معرفتها وبيان حقيقتها.

التفكر في آيات الله تعالى وأسمائه وصفاته:

الآيات الكونية: هي المخلوقات، وما أبدع الله فيها من الحكم والأسرار العظيمة.
والآيات الشرعية: هي الأحكام الشرعية التي شرعها الله للعباد، وجعلها صالحة لكل زمان ومكان.

فالتفكر يكون في آيات الله عز وجل الكونية والشرعية.

كذلك أيضًا التفكر في أسماء الله وصفاته؛ تفكر في الاسم ماذا يدل عليه من الصفة، سواء كانت الدلالة دلالة تضمن، أو دلالة مطابقة، أو دلالة التزام.

كتاب تفسير القرآن الكريم – محمد بن صالح العثيمين – سورة الأنعام ص ٢٦٠

قال محمد بن كعب:

"لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ و ﴿القارعة﴾

لا أزيد عليهما بل أتردد فيهما وأتفكر أحب إلي من أن أهذّ القرآن هذّا!

أو قال: أنثره نثرًا"

كتاب صفة الصفوة - ابن الجوزي – ج١ ص٣٧٥

التفكر في القرآن نوعان:

تفكر فيه ليقع على مراد الرب تعالى منه، وتفكر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه.

فالأول: تفكر في الدليل القرآني، والثاني: تفكر في الدليل العياني.
الأول: تفكر في آياته المسموعة، والثاني: تفكر في آياته المشهودة.

ولهذا انزل الله القرآن ليتدبر ويتفكر فيه ويعمل به لا لمجرد تلاوته مع الإعراض عنه.
قال الحسن البصري: (انزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا).

كتاب مفتاح دار السعادة – ابن القيم – ج ١ص١٨٧

التفكر في آيات الله تعالى بتدبر القرآن العظيم:

قال الآجري رحمه الله" من تدبر كلامه عرف الرب عز وجل، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذره مولاه الكريم، فرغب فيما رغبه.

ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره كان القرآن له شفاء، فاستغنى بلا مال، وعز بلا عشيرة، وأنس مما يستوحش منه غيره.

وكان همه عند التلاوة للسورة إذا افتتحها متى أتعظ بما أتلو، ولم يكن مراده متى أختم السورة، وإنما مراده متى أعقل عن الله الخطاب، متى أزدجر، متى أعتبر؛ لأن تلاوة القرآن عبادة لا تكون بغفلة، والله الموفق لذلك"

كتاب أخلاق حملة القرآن – أبو بكر محمد بن الحسين الآجري – ص١٠

التفكر في آيات الله تعالى بتدبر القرآن العظيم:

لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة والتي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها.

كتاب مفتاح دار السعادة – ابن القيم – ج ١ص١٨٧

التفكر في آيات الله تعالى بتدبر القرآن العظيم:

إن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن ومعارفه ما يزداد به إيمانًا، كما قال تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [سورة الأنفال: ٢] .
وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وإحكامه، وأنه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف تيقن أنه {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} وأنه لو كان من عند غير الله لوجد فيه من التناقض والاختلاف أمور كبيرة.

قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [سورة النساء: ٨٢]
وهذا من أعظم مقويات الإيمان، ويقويه من وجوه كثيرة، فالمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله، ويعرف ما ركب عليه من الأخبار الصادقة والأحكام الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خير كبير، فكيف إذا أحسن تأمله وفهم مقاصده وأسراره؟! .
ولهذا كان المؤمنون الكمّل يقولون: {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا} الآية [سورة آل عمران:١٩٣].

كتاب التوضيح والبيان لشجرة الإيمان – عبد الرحمن السعدي – ص٧٣

التفكر في آيات الله تعالى بتدبر القرآن العظيم:

أمْره سبحانه بتدبر كلامه والتفكر فيه، وفي أوامره ونواهيه وزواجره؛ ولولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة التي هي محل الفكر لما كان للتفكير فيه معنى، وإنما دعاهم إلى التفكر والتدبر ليطلعهم ذلك على حكمته البالغة، وما فيه من المصالح والغايات المحمودة التي توجب لمن عرفها إقراره بأنه تنزيل من حكيم حميد.(١)

من أدب المؤمن مع ربه التفكير في أحكامه الشرعية، واليقين بأن المصالح متحققة يقينًا بالأخذ بأحكامه سبحانه وتعالى، وما أصاب الأمة من بؤس وانحطاط إلا بالبعد عن تطبيق الأحكام الشرعية.(٢)

(١) كتاب شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ابن القيم – ج٢ ص١٤٣
(٢) موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – التفكر

التفكر في آيات الله تعالى بتدبر القرآن العظيم:

أخبر تعالى أنه يضرب للناس الأمثال، ويوضح لعباده الحلال والحرام؛ لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها.
فإن التفكير فيها يفتح للعبد خزائن العلم، ويبين له طريق الخير والشر، ويحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق، فلا أنفع للعبد من التفكر في القرآن والتدبر لمعانيه.(١)

إن التفكر في قصة المنسلخ من الآيات، وقصة إبراهيم عليه السلام، هما نموذجان من مجموع قصص القرآن، يوحي بهدف القرآن من الدعوة للتفكر في قصصه، واستخلاص العبر منه، كي يلامس الإيمان القلوب الضالة، ويزين اليقين القلوب المسترشدة، ولم يكن هدفها التثقيف فقط.(٢)

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – سورة الحشر ص٨٥٣
(٢) موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - التفكر

عظمة هذا القرآن:

إذا أردت أن تعرف عظمة هذا القرآن، وتأثيره في النفوس والمجتمعات، فتأمل ما وصفه الله تعالى به في مواضع كثيرة، حيث وصفه بأنه كريم وحكيم وعظيم ومجيد ومبارك وعزيز ومهيمن وعليّ وهدى ورحمة وشفاء ونور وذكر وموعظة وروح وتفصيل كل شيء وبصائر، وأنه حق وبرهان، إلى غير ذلك من الأوصاف.
كما سماه بالفرقان؛ لأنه يفرق بين الهدى والضلال والحق والباطل وبالقرآن؛ لأنه جمع ثمرة الكتب قبله.

فالواجب أن يقبل المسلم على كتاب ربه إقبالا يليق بهذا القرآن العظيم «ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فمن وفق لذلك لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه، وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه، ولوازمه وما تتضمنه، وما يدل عليه منطوقا ومفهوما، فإذا بذل وسعه في ذلك فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أمورًا لا تدخل تحت كسبه» (١).

كتاب الخلاصة في تدبر القرآن الكريم – خالد بن عثمان السبت – ص٦٥
(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – المقدمة ص٣٠

التفكر في آيات الله تعالى الكونية:

آيات الله في الآفاق وفي الأنفس وفي السماوات وفي الأرض كثيرة، يمر عليها الناس وهم عنها معرضون، وآلاء تتوجه إليها البصائر والأبصار في مكنونات هذا الكون، والظواهر والأحوال في تأملات واسعة الآماد، ممتدة من المنشأ حتى المعاد.

فالأرض فراش ومهاد، والسماء سقف محفوظ ومرفوع بغير عماد، ظواهر عجيبة في تقلب الليل والنهار، والفلك الدوار، والرياح المرسلة، والأمواج الهادئة والهادرة.

سَبْحٌ من التفكر عظيم في هذا الكون الواسع الفسيح.

تفكر وتأمل يحيي القلوب، ونظر وتبصر يستجيش العقول في بدائع صنع الله الذي أتقن كل شيء؛ لينظر في آثار الربوبية وليكون التوحيد كله لله.

كتاب دروس - صالح بن حميد – ج١٩ ص٢

التفكر في آيات الله تعالى الكونية:

إذا قيل لك: بم عرفت ربك فقل: بآياته ومخلوقاته.

يعني: عرفته بآياته التي منها الليل والنهار والشمس والقمر، وبمخلوقاته التي منها السموات والأرض وسائر المخلوقات،

وهذه المخلوقات دالة على أن لها خالقاً.

كتاب اعتقاد أهل السنة - عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين – ج٣ ص٩

التفكر في آيات الله الكونية:

إن التأمل والنظر في مخلوقات الله المتنوعة العجيبة، من سماء وأرض وشمس وقمر وكواكب ونجوم وليل ونهار وجبال وأشجار وبحار وأنهار وغير ذلك من مخلوقات الله التي لا تعد ولا تحصى، لمن أعظم دواعي الإيمان، وأنفع أسباب تقويته.

فتأمل خلق السماء، وارجع البصر فيها كرة بعد كرة كيف تراها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها، بحيث لا تصعد علوا كالنار ولا تهبط نازلة كالأجسام الثقيلة، ولا عمد تحتها، ولا علاقة فوقها، بل هي ممسوكة بقدرة الله، ثم تأمل استواءها واعتدالها، فلا صدع فيها ولا فطر ولا شق، ولا أمت ولا عوج.
ثم تأمل ما وضعت عليه من هذا اللون الذي هو أحسن الألوان، وأشدها موافقة للبصر وتقوية له.

كتاب زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه – عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر – ص ٢٠٦

التفكر في آيات الله الكونية:

وتأمل خلق الأرض وكيف أبدعت، تراها من أعظم آيات فاطرها وبديعها، خلقها سبحانه فراشا ومهادا، وذللها لعباده، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال فجعلها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم، ووسع أكنافها ودحاها، فمدها وبسطها وطحاها فوسعها من جوانبها، وجعلها كفاتا للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا أحياء، وكفاتا للأموات تضمهم في بطنها إذا ماتوا، فظهرها وطن للأحياء وبطنها وطن للأموات.

ثم أنظر إليها وهي ميتة هامدة خاشعة، فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت، فارتفعت واخضرت وأنبتت من كل زوج بهيج، فأخرجت عجائب النبات في المنظر والمخبر، بهيج للناظرين كريم للمتناولين.

ثم تأمل كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب، وكيف نصبها فأحسن نصبها، وكيف رفعها وجعلها أصلب أجزاء الأرض، لئلا تضمحل على تطاول السنين، وترادف الأمطار والرياح، بل أتقن صنعها وأحكم وضعها، وأودعها من المنافع والمعادن والعيون ما أودعها.

كتاب زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه – عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر – ص ٢٠٦

التفكر في آيات الله الكونية:

ثم تأمل هذا الهواء اللطيف المحبوس بين السماء والأرض يدرك بحس اللمس عند هبوبه، يدرك جسمه ولا يرى شخصه، فهو يجري بين السماء والأرض، والطير محلقة فيه سابحة بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء، وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هيجانه كما تضطرب أمواج البحار.

ثم تأمل كيف ينشئ سبحانه بهذا الريح السحاب المسخر بين السماء والأرض، فتثيره كسفا، ثم يؤلف بينه ويضم بعضه إلى بعض، ثم تلقحه الريح وهي التي سماها سبحانه لواقح، ثم يسوقه على متونها إلى الأرض المحتاجة إليه، فإذا علاها واستوى عليها اهراق ماءه عليها، فيرسل سبحانه عليه الريح وهو في الجو فتذروه وتفرقه لئلا يؤذي ويهدم ما ينزل عليه بجملته، حتى إذا رويت وأخذت حاجتها منه أقلع عنها وفارقها، فهي روايا الأرض محمولة على ظهور الرياح.

كتاب زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه – عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر – ص ٢٠٧

التفكر في خلق الإنسان والحياة:

{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات:٢١]

في أنفسكم آيات: ليس في تركيب الجسم فحسب، وليس فيما أودعه الله تعالى من القوة فحسب، بل حتى في تقلبات الأحوال، فالإنسان تجده يتقلب من سرور إلى حزن، ومن غم إلى فرح، تقلبات عجيبة عظيمة، حتى إن الإنسان في لحظة يجد نفسه متغيراً، وأحياناً يجد نفسه متغيراً بدون سبب، يكون منشرح الصدر واسع البال مسروراً، وإذا به يغتم بدون سبب، وأحياناً بالعكس، هذا بالنسبة للأحوال النفسية، كذلك أيضاً بالنسبة للأحوال الإيمانية، وهي أعظم وأخطر.

كتاب تفسير القرآن الكريم – محمد بن صالح العثيمين – سورة الذاريات ص ١٢٨

التفكر في الاستخلاف في الأرض:

التفكر من العمليات الراقية في العقل البشري، كان لابد أن تتصل مواضيعه بإدراك حكمة الحياة، وكشف مقاصد الشرع؛ لذا جاءت آياته واضحة في هذا المعنى مؤيدة له، عن طريق عرض مشاهد الكون والاستدلال بها عن عدم عبثية الخلق، ومن ثم هي تنبيه للإنسان إلى أنه الراعي المستخلف لشئون الكون بهدف القيام بأمور الرسالة الموكلة إليه.

فبعد معرفة الإنسان لخالق الكون والإيمان به، ثم طاعة أوامره واجتناب نواهيه، مرورًا بتزكية نفسه وتهذيبها، ثم إحاطته بالسنن والنواميس الكونية، يبدأ عمله على هذه الأرض من خلال القيام بالمهمة التي من أجلها أرسل إلى الأرض، وهي تحقيق العبودية لله تعالى عن طريق حسن الاستخلاف في الأرض، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠].

التفكر في حظ النفس من الطاعات:

ينبغي أن يتفكر هل هو على معصية أم لا؟ فإن رأى زلة تداركها بالتوبة والاستغفار، ثم يتفكر في نقل الأعضاء من المعاصي إلى الطاعات، فيجعل شغل العين العبرة، وشغل اللسان الذكر، وكذلك سائر الأعضاء.

ثم يتفكر في الطاعات ليقوم بواجبها ويجبر واهنها، ثم يتفكر في مبادرة الأوقات بالنوافل طلبا للأرباح، ويتفكر في قصر العمر، فينتبه حذرًا أن يقول غدا: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} [الزمر:٥٦]

ثم يتفكر في خصال باطنه فيقمع الخصال المذمومة؛ كالكبر والعجب والبخل والحسد، ويتولى الخصال المحمودة؛ كالصدق والإخلاص والصبر والخوف.

وفي الجملة يتفكر في زوال الدنيا فيرفضها، وفي بقاء الآخرة فيعمرها.

كتاب التبصرة - أبو الفرج بن محمد الجوزي - ج١ ص٦٦

التفكر في أثر العمل على النفس:

ينبغي للإنسان إذا قام لله يعمل، أن يتفكر ماذا فعل في هذا العمل: هل قام به على الوجه المطلوب؟ وهل قصر؟ وهل زاد؟ وماذا حصل له من هذا العمل من طهارة القلب وزكاة النفس؟ وغير ذلك.

لا يكن كالذي يؤدي أعماله الصالحة وكأنها عادات يفعلها كل يوم، بل تفكر ماذا حصل لك من هذا العبادة؟ وماذا أثرت على قلبك وعلى استقامتك؟

ولنضرب لهذا مثلا بالصلاة، قال الله تبارك وتعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ) (البقرة: من الآية٤٥) وقال: (وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (العنكبوت: من الآية٤٥) فلنفكر هل نحن إذا صلينا زدنا طاقة وقوة ونشاطا على الأعمال الصالحة حتى تكون الصلاة معينة لنا؟ الواقع أن هذا لا يكون إلا نادرًا باعتبار أفراد الناس، فانظر ماذا حدث لك من الصلاة، هل صارت معينة لك على طاعة الله تعالى، وعلى المصائب وعلى غيرها.

كتاب شرح رياض الصالحين - محمد بن صالح العثيمين - ج١ ص٥٧٧

التفكر في آلاء الله ونعمه:

يعتبر عرض آلاء الله ونعمه المتفضل بها على البشر من أكثر الأساليب انتشارًا في القرآن الكريم، وذلك بهدف تنبيه الناس على آيات الله، وبيان قدرته وعظمته وحكمته في الخلق، ودعوة لهم للتفكر فيها قصد زيادة الإيمان وشكرًا لخالقها، وإيقاظ الهمم النائمة للاستفادة مما مكن الله الإنسان منه، كما أن فيها لمسة من الجمال تريح الإنسان، هذا ما يؤثر على نفسية الناظر والمتفكر فيها بما يكسبه الراحة والتركيز، ويحدث تغييرًا في معتقداته وأفكاره. وهذه الآلاء تملأ السماء وتفيض بها الأرض، لكن قلوب الناس غافلة عنها، فتكريرها وإعادة التذكير بها يبعثها من جديد ويستثير العقل فيها.

ويهدف القرآن من عرض الآيات الكونية والمخلوقات وربطها بالعمليات العقلية تنبيه الإنسان إلى دور العقل في اكتشاف نعم الله عليه، وتسخيرها لإقامة الخلافة الخاضعة لله وإحداث التكامل والتوازن الكوني، وكل آلاء الله المرتبطة بموضوع التفكر تعتبر من أساسيات الوجود.

التفكر في المنافع وتسخيرها:

إرشادات القرآن على نوعين:
أحدهما: أن يرشد أمرًا ونهيًا وخبرًا إلى أمر معروف شرعًا أو معروف عرفًا.
والنوع الثاني: أن يرشد إلى استخراج الأشياء النافعة من أصول معروفة، ويعمل الفكر في استفادة المنافع منها.

وهذه القاعدة شريفة جليلة القدر؛ فإنه دعا عباده في آيات كثيرة إلى التفكر في خلق السماوات والأرض، وما خلق الله فيها من العوالم، وإلى النظر فيها، وأخبر أنه سخرها لمصالحنا ومنافعنا، وأنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} [الجاثية: ١٣] فنبه العقول على التفكر فيها، واستخراج أنواع العلوم والفوائد منها.
وذلك أننا إذا فكرنا فيها، ونظرنا حالها وأوصافها وانتظامها، ولأي شيء خلقت ولأي فائدة أبقيت؟ وماذا فيها من الآيات وما احتوت عليه من المنافع؟

كتاب القواعد الحسان لتفسير القرآن – عبد الرحمن السعدي – ص٧٠

أفادنا هذا الفكر فيها علمين جليلين:

أحدهما: أننا نستدل بها على ما لله من صفات الكمال والعظمة، والحكم البالغة، وما له من النعم الواسعة والأيادي المتكاثرة، وعلى صدق ما أخبر به من المعاد والجنة والنار، وعلى صدق رسله وحقيقة ما جاءوا به.
وهذا النوع قد أكثر منه أهل العلم. وكل ذكر ما وصل إليه علمه، فإن الله أخبر أن الآيات إنما ينتفع بها أولو الألباب.
وهذا أجل العلمين وأعلاهما وأكملهما.

والعلم الثاني: أننا نتفكر فيها ونستخرج منها المنافع المتنوعة، فإن الله سخرها لنا، وسلطنا على استخراج جميع ما لنا فيها من المنافع والخيرات الدينية والدنيوية، فذلل لنا أرضها لنحرثها ونزرعها ونغرسها، ونستخرج معادنها وبركتها، وجعلها طوع علومنا وأعمالنا لنستخرج منها الصناعات النافعة. فجميع فنون الصناعات على كثرتها وتنوعها وتفوقها ـ لاسيما في هذه الأوقات ـ كل ذلك داخل في تسخيرها لنا. وقد عُرفت الحاجة بل الضرورة في هذه الأوقات إلى استنباط المنافع وترقية الصنائع إلى ما لا حد له، وقد ظهر في هذه الأوقات من موادها وعناصرها أمور فيها فوائد عظيمة للخلق.

كتاب القواعد الحسان لتفسير القرآن – عبد الرحمن السعدي – ص٧٠

التفكر في عواقب الأمور:

قَال رسول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأصْحَابِ الحِجْرِ: "لا تَدْخُلُوا علَى هَؤُلَاءِ المُعَذَّبِينَ إلَّا أنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فإنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فلا تَدْخُلُوا عليهم، لا يُصِيبُكُمْ ما أصَابَهُمْ "(١)

وجه هذه الخشية أن البكاء يبعثه على التفكر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة، ثم إيقاع نقمته بهم وشدة عذابه، وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك.

والتفكر أيضا في مقابلة أولئك نعمة الله بالكفر، وإهمالهم إعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به والطاعة له، فمن مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتبارا بأحوالهم فقد شابههم في الإهمال، ودل على قساوة قلبه وعدم خشوعه، فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم.

كتاب فتح الباري بشرح البخاري – ابن حجر العسقلاني – ج١ ص٥٣١

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٠) باختلاف يسير.

التفكر في الدنيا والآخرة:

{كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..} [البقرة:٢١٩-٢٢٠]

عن ابن عباس: "كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" يعني في زوال الدنيا وفنائها، وإقبال الآخرة وبقائها. (١)

عن قتادة قوله: {كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..} [البقرة:٢١٩-٢٢٠] أنه من تفكر فيهما عرف فضل إحداهما على الأخرى، وعرف أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء، وأن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء، فكونوا ممن يَصْرم حاجة الدنيا لحاجة الآخرة.(٢)

(١) كتاب تفسير جامع البيان– أبو جعفر ابن جرير الطبري – ج٥ ص ٥٥٥
(٢) المرجع السابق ج٤ ص ٣٤٩

التفكر في الدنيا والآخرة:

أصل الخير والشر من قبل التفكر؛ فإن الفكر مبدأُ الإرادة والطلب والزهد والترك والحب والبغض.

وأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد وفي طرق اجتنابها؛ فهذه أربعة أفكار هي أجلُّ الأفكار، ويليها أربعةٌ: فكرٌ في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفاسد الدنيا وطرق الاحتراز منها. فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء.
ورأس القسم الأول: الفكر في آلاء الله ونعمه، وأمره ونهيه، وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه وما والاهما. وهذا الفكر يُثمِر لصاحبه المحبةَ والمعرفة؛ فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها وفي الدنيا وخسَّتها وفنائها؛ أثمرَ له ذلك الرغبةَ في الآخرة والزهد في الدنيا، وكلما فكَّر في قِصَر الأمل وضيق الوقت أورثه ذلك الجدَّ والاجتهاد، وبذل الوسع في اغتنام الوقت، وهذه الأفكار تُعلِي همته، وتُحييها بعد موتها وسفولها، وتجعله في وادٍ والناس في وادٍ.

كتاب الفوائد – ابن القيم – ج١ ص٢٨٧

التفكر في الموت:

{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [سورة الزمر:٤٢]

قال ابن جرير رحمه الله:

(يقول الله تعالى: إن في قبض الله نفس النائم والميت، وإرساله بعد نفس هذا ترجع إلى جسمه، وحبسه لغيرها عن جسمها لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر، وبيانا أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء، ويميت من شاء إذا شاء).

كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - ج٢٤ ص٩

التفكر في الموت:

عن جابِرِ بنِ عبد الله قال: "مَرَّت جَنَازَةٌ، فَقَامَ لَهَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَقُمنَا مَعَهُ، فَقُلنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا يَهُودِيَّةٌ! فَقَالَ: إِنَّ المَوتَ فَزَعٌ، فَإِذَا رَأَيتُمُ الجَنَازَةَ فَقُومُوا" (١)

قوله إن الموت فزع؛ أي يفزع إليه ومنه، وهو تنبيه على استذكاره وإعظامه وجعله من أهم ما يخطر بالإنسان.
والمقصود من هذا الحديث ألا يستمرَّ الإنسان على غفلته عند رؤية الميت، فإنه إذا رأى الميت ثم تمادى على ما كان عليه من الشغل كان هذا دليلا على غفلته وتساهله بأمر الموت، فأمر الشرع أن يترك ما كان عليه من الشغل ويقوم تعظيمًا لأمر الميت واستشعارًا به.

كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - أبو العباس القرطبي – ج٢ ص٦٢٠
(١) رواه أحمد (٣/ ٣١٩)، والبخاري (١٣١١)، ومسلم (٩٦٠) (٧٨)، والنسائي (٤/ ٤٥ - ٤٦).

قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

"زوروا القبورَ فإنَّها تذَكِّرُكمُ الآخرةَ"

أخرجه النسائي (٢٠٣٤) بمعناه، وابن ماجه (١٥٦٩) واللفظ له

التفكر في مخاوف الآخرة:

قال القرطبي: (ومما يتفكر فيه مخاوف الآخرة من الحشر والنشر والجنة ونعيمها والنار وعذابها) (١)

(ينبغي للمؤمن أن يفكر في آيات الله ومخلوقاته في هذه الأرض، ويفكر ويتدبر أيضًا فيما شرع له وما أمره الله به، ويتفكر في الآخرة وما يكون فيها من الأهوال والعجائب والصراط والميزان وتوزيع الكتب، وانقسام إلى فرقين فريق في الجنة وفريق في السعير؛ حتى يعد العدة متى فكر في آيات الله ومخلوقاته وعظيم شرعه، وما أعد لأوليائه وما أعد لأعدائه، وما يكن في الآخرة من الأهوال، لو نظر في مخلوقات الله بعين الاعتبار عرف الأمر العظيم والعجب العجيب، وكان هذا من أسباب خضوعه لله، واستقامته على أمر الله وتعظيمه لله، ووقوفه عند حدود الله، ومسابقة إلى الطاعات ومسارعة إليها؛ اغتنامًا للفرصة واغتنامًا للحياة). (٢)

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد القرطبي - ج٤ ص ٣١٤
(٢) الموقع الرسمي للإمام عبد العزيز بن باز – شرح كتاب رياض الصالحين - باب في التفَكُّر في عظيم مخلوقات الله تعالى وفناء الدنيا وأهوال الآخرة.

التفكر في مخاوف الآخرة:

السؤال

ما حكم التفكر والتأمل في أهوال القيامة مثل: انشقاق السماء ونزول الملائكة وخروج الناس من القبور؟

الجواب

ينبغي للإنسان أن يتأمل ويتذكر يوم القيامة وأهوال يوم القيامة حتى يكون حافزاً له وسبباً في رقة قلبه وخشوعه، ويكون حاملاً له

على إخلاص العمل لله عز وجل، وأداء الحقوق والابتعاد عن المحرمات.

٤

محاذير في عبادة التفكر

قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

"يَأْتي الشَّيْطانُ أحَدَكُمْ فَيَقُولَ: مَن خَلَقَ كَذا وكَذا؟ حتَّى يَقُولَ له: مَن خَلَقَ رَبَّكَ؟ فإذا بَلَغَ ذلكَ، فَلْيَسْتَعِذْ باللَّهِ ولْيَنْتَهِ"

أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤) واللفظ له

التفكر فيما يمكن الوصول إليه:

الحث على التفكر، وأنه غاية مقصودة؛ لقوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: ٢٦٦]
فالإنسان مأمور بالتفكر في الآيات الكونية والشرعية؛ لأن التفكر يؤدي إلى نتائج طيبة؛ لكن هذا فيما يمكن الوصول إليه بالتفكر فيه؛ أما ما لا يمكن الوصول إليه بالتفكر فيه فإن التفكر فيه ضياع وقت، وربما يوصل إلى محظور، مثل التفكر في كيفية صفات الله عز وجل:
هذا لا يجوز؛ لأنك لن تصل إلى نتيجة؛
ولهذا جاء في الأثر: «تفكروا في آيات الله ولا تفكروا في ذات الله»؛ (١) لأن هذا أمر لا يمكن الوصول إليه؛ وغاية لا تمكن الإحاطة بها، كما قال تعالى: {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣]
فلا يجوز لأحد أن يتفكر في كيفية استواء الله عز وجل على العرش؛ بل يجب الكف عنه؛ لأنه سيؤدي إلى نتيجة سيئة؛ إما إلى التكييف، أو التمثيل، أو التعطيل ولا بد؛ وأما التفكر في معاني أسماء الله فمطلوب؛ لأن المعنى كما قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ لما سئل:
{الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: ٥]: كيف استوى؟
قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

كتاب تفسير القرآن الكريم – محمد بن صالح العثيمين – سورة البقرة - ج ٣ ص ٣٣٦
(١) أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر ٦/ ٢٥٠ حديث رقم ٦٣١٩

النهي عن التفكر في ذات الله جل وعلا:

كل ما يقدره ذهنك من تصور في ذات الله عز وجل فإنه كذب، والله أعظم وأجل؛ ولهذا نهى بعض السلف أن يفكر الإنسان في ذات الله، وقال: إنما التفكر في آيات الله، قال تعالى: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [آل عمران: ١٩١]

ولم تأت آية ولا حديث تحثنا على أن نتفكر في الله نفسه، فالتفكر إنما يكون في آياته وفي أسمائه وفي صفاته، أما في ذاته فلا؛ لأنه مهما كان الأمر فلا يمكن أن تصل إلى نتيجة إلا إلى نتيجة محرمة، وهي أن تتصور مثالا ليس لك به علم، وقد قال الله تعالى: {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء: ٣٦]

كتاب شرح العقيدة السفارينية – محمد بن صالح العثيمين – ج١ ص ٢٣٩

النهي عن التفكر في ذات الله جل وعلا:

الخوض في ذات الله محرمة، وكذلك التفكر في ذات الله أيضًا منهي عنه، لكن المأمور به أن يفكر المرء في آلاء الله عز وجل.
فالمأمور به العبد أن يتفكر في آلاء الله، وآلاء الله عز وجل يعني في آياته.

آيات الله عز وجل نوعان:
- آيات مرئية وهي ملكوته في السموات وفي الأرض وما خلق الله من شيء.
- وآيات متلوة وهي القرآن.

كتاب شرح العقيدة الطحاوية - إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل – صالح آل الشيخ – ص ٣٣٢

التحذير من الخوض في صفات الله تعالى:

سمة أهل السنة والجماعة أنهم لا يخوضون في الله، ولا يخوضون في صفات الله، وإنما يذكرون ما دل عليه الكتاب والسنة ويعلمون ذلك، وإنما المهم العمل، المهم هذا القلب أن يكون صالحا، أن يكون خاشعا لله، منيبا لله - جل جلاله -، ولهذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عَينانِ لا تمَسَّهما النَّارُ: عينٌ بكت من خشيةِ اللهِ ، وعينٌ باتت تحرسُ في سبيل اللهِ» (١)
وقال في السبعة الذين يظلهم الله في ظلهم «ورجلٌ ذَكرَ اللَّهَ خاليًا ففاضت عيناهُ» (٢)

فمن أعظم العبادات التفكر، تفكر في القرآن، تردد الآيات لتؤثر على قلبك، التفكر في ملكوت الله، في هذه السماء العجيبة، الأرض، في الخلق. هذا من سمة وخصال أهل السنة والجماعة، مخالفين بذلك لطريقة الصوفية الذين أورثهم العزلة التفكر والخوف في الله عز وجل والكشف؛ كشف الحجب ونحو ذلك مما زلت به أقدامهم.

كتاب شرح العقيدة الطحاوية - إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل – صالح آل الشيخ – ص ٣٣٢

(١) أخرجه الترمذي (١٦٣٩) وابن أبي عاصم في ((الجهاد)) (١٤٦) والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧٩٦)

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (٢٤٢٧) والترمذي (٢٣٩١)

الحذر من تفكر الصوفية:

في الصحيحين عن ابن عباس أنه بات عند خالته ميمونة، وفيه: فقام رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ "فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عن وجْهِهِ بيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ العَشْرَ الآيَاتِ الخَوَاتِمَ مِن سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إلى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ منها فأحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي" ثلاث عشرة ركعة الحديث. (١)

فانظروا رحمكم الله إلى جمعه بين التفكر في المخلوقات ثم إقباله على صلاته بعده، وهذه السنة هي التي يعتمد عليها.
فأما طريقة الصوفية أن يكون الشيخ منهم يوما وليلة وشهرا مفكرًا لا يفتر، فطريقة بعيدة عن الصواب غير لائقة بالبشر، ولا مستمرة على السنن.

كتاب الجامع لأحكام القرآن – شمس الدين القرطبي – سورة آل عمران ج٤ ص٣١٥
(١) أخرجه مسلم (٧٦٣) باختلاف يسير

قال إسحاقُ بنُ راهويه:

"لا يجوزُ التفكُّرُ في الخالقِ، ويجوزُ للعبادِ أن يتفكَّروا في المخلوقينَ بما سمعُوا فِيهم، ولا يزيدونَ على ذلكَ،

لأنَّهم إن فعلُوا تاهُوا"

جامع العلوم والحكم - ابن رجب الحنبلي – ص١٣٧

عجز الخلق عن معرفة أسرار القدر:

قدر الله وقضاؤه الشامل النافذ له حكم وأسرار لا سبيل للخلق إلى معرفتها، فإن الخلق لا يحيطون به تعالى علما، لا بذاته ولا صفاته ولا أفعاله ولا بحكمته في خلقه وأمره، وما دام أن الله تعالى قد استأثر بذلك؛ فلا تطلب ما لا سبيل إلى معرفته، فالله قد استأثر بعلم كيفية صفاته فلا تطلب معرفة ذلك، ولا تسأل: كيف استوى؟ وكيف يغضب؟ وكيف ينزل؟ كل ذلك غير معقول لنا، ولا يمكن لعقولنا أن تصل إليه، كذلك أمر القدر، الله تعالى سبحانه قد استأثر بعلم أسرار القدر، وحكمه في أقداره على التفصيل.

فالأشياء التي نبهت عليها النصوص قد تدرك بالتدبر؛ لكن تأمل في خلق الله، هذا يجعله غنيا وهذا فقيرا وهذا بين ذلك، وهذا مؤمنا مهتديا وهذا ضالا وهذا عاصيا، وفي الخلق طويل وقصير وجميل ودميم، وكل التفاوتات التي تلاحظها، أغنى الله هذا دون ذاك، وأفقر هذا دون ذاك، وجعل هذا طويلا وهذا قصيرا، وجعل هذا عاقلا وهذا غير عاقل، وفي الناس معتوه وبليد وذكي، ويولد للإنسان العدد من الأولاد أبوهم واحد وأمهم واحدة وتتفاوت خلقتهم وأخلاقهم وعقولهم وحظوظهم، ابحث عن أسرار هذه التخصيصات لا تجد إلى ذلك سبيلا.

كتاب شرح العقيدة الطحاوية - عبد الرحمن بن ناصر البراك – ص١٦٩

جهل العباد بمعرفة حكمة الله تعالى:

عدم علمنا بتفصيل حكمته بمنزلة عدم علمنا بكيفية ذاته، وكما أن ثبوت صفات الكمال له معلوم لنا، وأما كنه ذاته فغير معلومة لنا، فلا نكذب بما علمناه ما لم نعلمه.

وكذلك نحن نعلم أنه حكيم فيما يفعله ويأمر به، وعدم علمنا بالحكمة في بعض الجزئيات لا يقدح فيما علمناه من أصل حكمته، فلا نكذب بما علمناه من حكمته ما لم نعلمه من تفصيلها.

ونحن نعلم أن من علم حذق أهل الحساب والطب والنحو، ولم يكن متصفا بصفاتهم التي استحقوا بها أن يكونوا من أهل الحساب والطب والنحو، لم يمكنه أن يقدح فيما قالوا، لعدم علمه بتوجيهه.

والعباد أبعد عن معرفة الله وحكمته في خلقه من معرفة عوامهم بالحساب والطب والنحو، فاعتراضهم على حكمته أعظم جهلا وتكلفا للقول بلا علم من العامي المحض إذا قدح في الحساب والطب والنحو بغير علم بشيء من ذلك.

كتاب الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال – ابن تيمية – ص٦٢

البحث في أسرار القدر سبب للضلال:

الذي يبحث ويخوض ويتعمق قد طغى وتعدى حده، قف فأنت ضعيف وعبد ومحدود الإدراك، ولا تطلب ما ليس لك، ولا ترم ما لا سبيل لك إليه ولا قدرة لك عليه.

فالتعمق والنظر سبب لكل شر وشقاء وهلاك، فإنه يضرب في متاهة لا ينتهي فيها إلى حدود.

كتاب شرح العقيدة الطحاوية - عبد الرحمن بن ناصر البراك – ص١٧١

الحذر من الخوض في المذاهب:

الأولى لمن يتفرغ لاستغراق العمر في العلم أن لا يخوض في المذاهب، ولكن يقف عند اعتقاد الجمل، وأن الله سبحانه واحد لا شريك له،

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[الشورى:١١]

وأن رسول الله صادق فيما جاء به ويؤمن بما جاء به القرآن من غير بحث ولا تنقير.

ويصرف زمنه في التقوى وأداء الطاعات، فمتى خاض في المذاهب ورام ما لا يصل إلى معرفته هلك.

كتاب مختصر منهاج القاصدين – نجم الدين المقدسي – ص٢٣٦

الحذر من اعتقاد الأشد هو الحكمة دائمًا:

من المؤثرات السلبية على التفكير السليم اعتقاد أن الأشد والأغلظ والأقوى من المواقف هو الدين والحكمة في كل حال، وليس الأمر كذلك يأتي الآن بعض الناس كيف يفكر؛ يعني يؤثر على تفكيره الصحيح؛ لأنه يرى هذا الموقف أقوى، يقول: ما دام أنه أقوى هذا الصحيح، هذا الحق، يرى القول هذا أشد يقول: ما دام هذا القول أشد في الدين معناه أنه هو الأصح، وهكذا.

يأتي اختلاف الفتاوى عند العلماء، يقول: هذا الحق كذا، ويأتي القول الأشد، فيأتي الواحد يفكر كيف ما ينظر للدليل، ما ينظر للقواعد العامة، ما دام الأشد هو الصواب ليس قاعدةً، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما صح عنه في سنته والحديث: "ما خُيِّرَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيْنَ أمْرَيْنِ قَطُّ إلَّا أخَذَ أيْسَرَهُمَا، ما لَمْ يَكُنْ إثْمًا"(١)

((إنَّ هذا الدينَ يسرٌ، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبهُ)).(٢)

محاضرة منهج التفكير (كيف نفكر على وفق منهج السلف) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٣٥٦٠). ومسلم (٢٣٢٧)

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم (٣٩).

الحذر من المبالغات والشعارات الرنانة:

إذا كان منهج التفكير عندنا التصديق بالمبالغات أو أن ننقل كل شيء فحينئذ المنهج فيه خلل، وحينئذ الحكم على الأشياء سيكون خللا محضا ولا شك؛ لأن الله جل علا أمرنا بالعدل: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾ [النساء:١٣٥]

فإذا أمرنا الله جل وعلا أن نكون قَوَّامِينَ بالقسط يعني بالعدل في الأقوال والأعمال والأحكام المبالغة أيضًا تضل وتؤثر؛ وقال جل وعلا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨] العدل سبيله أن تكون قليل الكلام متجنبا للمبالغات، ما تحدث بكل ما تسمع.

العبرة بما تحت الألفاظ لا بالألفاظ، لا تغتر بشعار لا تدري ما تحته، فإذن يكون فيه حذر، لذلك يقول بعض الحكماء: كم نفذت أمور هي من الخرق بمكان في ظل ألفاظ حسنة الانتقاء.

الحذر من فتنة القنوات الفضائية:

اليوم فيه فتنة أخبر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح البخاري، وهي فتنة القنوات الفضائية، قال عَلَيْه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ : ((لا تَقومُ السَّاعَة حتى يقِّل العلم وَيُبث الجَهْلُ)) (١)

والجهل اليوم في الناس من أسباب بثه أن يجعل هناك خلل في تفكيرنا، كيف نتلقى الأمور؟ أصبح هناك بث للجهل بأن الإنسان يكون مجتهدًا في كل شيء، ويختار ما يشاء ويترك ما لا يشاء، وهلم جرا.

فإذن وجود القنوات الفضائية فيما تبثه من أخبار وإشاعات وأقوال، لا تستطيع أن تميز الصحيح من غير الصحيح، لا من جهة الأخبار السياسية ولا من جهة الفتاوى الشرعية، ولا من جهة كذا وكذا، ولا من جهة البحوث ولا اللقاءات ولا الحوارات.

فإذن تحذر هذه أن تجعل عندك خللا في التفكير، وأن تكون مستفيدا منها عند الحاجة بشرط من ألا يؤثر ذلك على منهج التفكير الصحيح المقرر بالاستقراء في منهج السلف.

محاضرة منهج التفكير (كيف نفكر على وفق منهج السلف) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، حديث رقم (٨٠) بلفظ (مِن أشراطِ السَّاعةِ أن يُرفَعَ العِلمُ ويَثْبُتَ الجَهْلُ)

الحذر من وسوسة الشيطان:

الوسوسة هي: إلقاء المعاني في القلب، فالشيطان يوسوس؛ فيلقي معاني الشبهات ومعاني الشهوات في القلب مثل البذر، فوساوس الشيطان هي البذرة الأولى للشرور كلها؛ لكن هذه الوساوس قد تموت في مكانها إذا وفق الإنسان لدفعها، وتعوّذ بالله منه فإنها تنتهي.
وقد يثمر تفكيرًا وتفكرًا، ثم قد يثمر كلاما وعملا، فكل الشرور التي تشاهد بالعيون وتسمع بالآذان كلها نابتة من ذلك الوسواس، والله تعالى قد أنزل سورة ليتحصن بها المسلم من ذلك الوسواس الخناس:
{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ*مَلِكِ النَّاسِ*إِلَهِ النَّاسِ*مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ*الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ*من الجنة والنَّاسِ} [الناس]
فالشيطان يلقي في القلوب أخبث الوساوس؛ لكن المؤمن الموفق يدفعها باعتصامه بربه وبلجوئه إلى مولاه، ويقول: أعوذ بالله من الشيطان، فإن الله هو الذي خلق الشيطان وهو قادر على أن يصرفه عنك.

كتاب شرح العقيدة الطحاوية - عبد الرحمن بن ناصر البراك – ص١٧٢

التفكر أصل الطاعة وأصل المعصية:

أصل كل طاعة إنما هي الفكر، وكذلك أصل كل معصية إنما يحدث من جانب الفكرة؛ فإن الشيطان يصادف أرض القلب خالية فارغة فيبذر فيها حب الأفكار الردية؛ فيتولد منه الإرادات والعزوم، فيتولد منها العمل.

فإذا صادف أرض القلب مشغولة ببذر الأفكار النافعة فيما خلق له، وفيما أُمر به، وفيم هيئ له وأُعد له من النعيم المقيم أو العذاب الأليم لم يجد لبذره موضعًا.

كتاب مفتاح دار السعادة – ابن القيم – ج ١ ص١٨٣

حصر التفكر في الأمور النافعة:

أنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر، ومن فكر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه،

فالفكر والخواطر والإرادة والهمة أحق شيء بإصلاحه من نفسك؛ فإن هذه خاصتك وحقيقتك التي لا تبتعد أو تقترب من إلهك ومعبودك الذي لا سعادة لك إلا في قربه ورضاه عنك إلا بها، وكل الشقاء في بعدك عنه وسخطه عليك.

ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئا خسيسا لم يكن في سائر أمره إلا كذلك.

كتاب الجواب الكافي – ابن القيم – ص٨٦

التفكر في فضول العلم لا ينفع:

الفكر فيما لم يكلف الفكر فيه ولا أعطي الإحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع؛ كالفكر في كيفية ذات الرب وصفاته مما لا سبيل للعقول إلى إدراكه.

ومنها: الفكر في الصناعات الدقيقة التي لا تنفع بل تضر؛ كالفكر في الشطرنج والموسيقى وأنواع الأشكال والتصاوير.

ومنها: الفكر في العلوم التي لو كانت صحيحة لم يعط الفكر فيها النفس كمالا ولا شرفا؛ كالفكر في دقائق المنطق والعلم الرياضي والطبيعي وأكثر علوم الفلاسفة، التي لو بلغ الإنسان غاياتها لم يكمل بذلك ولم تزك نفسه.

ومنها: الفكر في الشهوات واللذات وطرق تحصيلها، وهذا وإن كان للنفس فيه لذة، لكن لا عاقبة له، ومضرته في عاقبة الدنيا قبل الآخرة أضعاف مسرته.

ومنها: الفكر فيما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ كالفكر فيما إذا صار ملكا أو وجد كنزا أو ملك ضيعة ماذا يصنع؟ وكيف يتصرف ويأخذ ويعطي وينتقم؟ ونحو ذلك من أفكار السفل.

كتاب الفوائد – ابن القيم – ج١ ص٢٨٨

التفكر في فضول العلم لا ينفع:

ومنها: الفكر في جزئيات أحوال الناس وماجرياتهم ومداخلهم ومخارجهم، وتوابع ذلك من فكر النفوس المبطلة الفارغة من الله ورسوله والدار الآخرة.

ومنها: الفكر في دقائق الحيل والمكر التي يتوصل بها إلى أغراضه وهواه؛ مباحة كانت أو محرمة.

ومنها: الفكر في أنواع الشعر وصروفه وأفانينه في المدح والهجاء والغزل والمراثي ونحوها؛ فإنه يشغل الإنسان عن الفكر فيما فيه سعادته وحياته الدائمة.

ومنها: الفكر في المقدرات الذهنية التي لا وجود لها في الخارج، ولا بالناس حاجة إليها البتة، وذلك موجود في كل علم، حتى في علم الفقه والأصول والطب.

فكل هذه الأفكار مضرتها أرجح من منفعتها، ويكفي في مضرتها شغلها عن الفكر فيما هو أولى به وأعود عليه بالنفع عاجلا وآجلا.

كتاب الفوائد – ابن القيم – ج١ ص٢٨٩

مجاهدة التفكر في المكاره:

السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم، وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور؛ وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال، وأن ذلك حمق وجنون.

فيجاهد قلبه عن التفكر فيها، وكذلك يجاهد قلبه عن قلقه لما يستقبله، مما يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكاره التي يتخيلها في مستقبل حياته.

فيعلم أن الأمور المستقبلة مجهول ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا السعي في تحصيل خيراتها ودفع مضراتها.

ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك، إذا فعل ذلك اطمأن قلبه وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه.

كتاب الوسائل المفيدة للحياة السعيدة - عبد الرحمن ناصر السعدي– ص٢٣

الفهم الخاطئ للتفكر:

روينا في معالم السنن للإمام أبي سليمان الخطابي رضي الله عنه قال: كان أهل الجاهلية من نسكهم الصمات، وكان أحدهم يعتكف اليوم والليلة فيصمت ولا ينطق، فنهوا: يعني في الإسلام عن ذلك، وأمروا بالذكر والحديث بالخير.

وروينا في صحيح البخاري، عن قيس بن أبي حازم رحمه الله قال:
دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟ فقالوا: حجت مصمتة، فقال لها: تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت. (١)

كتاب الأذكار – أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – ص٦٢٣
(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٣٤).

التكبر يصرف الإنسان عن التفكر:

{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [سورة الأعراف: ١٤٦]

{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ} أي: عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية، والفهم لآيات الكتاب {الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}

أي: يتكبرون على عباد الله وعلى الحق، وعلى من جاء به، فمن كان بهذه الصفة حرمه الله خيرًا كثيرا وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق واستحسن القبيح.

الغفلة تصرف عن التفكر:

اعلم: أن المنهمك في الدنيا المكب في غرورها، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره، وإن ذكره كرهه ونفر منه، ثم الناس إما منهمك، أو تائب مبتدئ، أو عارف منتبه.

فأما المنهمك فلا يذكره، وإن ذكره فيذكره لتأسف على دنياه، ويشتغل بذمه، وهذا لا يزيده ذكر الموت من الله تعالى إلا بعداً. (١)

قال ابن عون:

الفكرة تذهب الغفلة، وتحدث للقلب الخشية، كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جليت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة.(٢)

(١) كتاب مختصر منهاج القاصدين – نجم الدين المقدسي – ص٣٨٢
(٢) كتاب معالم التنزيل - الحسين بن مسعود البغوي – ج٢ ص١٥٢

قسوة القلب تصرف عن التفكر:

قال أبو السعود في قوله تعالى:

«لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» [الحشر: ٢١]
أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه.

كتاب إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - أبو السعود العمادي – ج٨ ص ٢٣٣

٥

معالم ومؤثرات في عبادة التفكر

الحاجة إلى التفكر:

لا بد من أوقات ينفرد بها المرء بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره.

فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه؛ إما في بيته كما قال طاوس: (نعم صومعة الرجل بيته؛ يكف فيها بصره ولسانه) وإما في غير بيته.

كتاب مجموع الفتاوى - ابن تيمية - ج١٠ ص ٤٢٦

رسوخ عبادة التفكر:

{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الرعد:٣]

أجرى صفة التفكير على لفظ قوم إشارة إلى أن التفكير المتكرر المتجدد هو صفة راسخة فيهم بحيث جعله من مقومات قوميتهم أي: جبلتهم، وجيء بالتفكير بالصيغة الدالة على التكلف، وبصيغة المضارع للإشارة إلى تفكير شديد ومكرر.

كتاب تفسير التحرير والتنوير- الطاهر بن عاشور – ج٧ ص ٥٨

ضابط التفكر في آيات الله تعالى:

فضيلة التفكر في خلق السموات والأرض؛ لقوله: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [آل عمران:١٩١]

ولكن التفكر المقرون بقول: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا} لا التفكر الذي يراد به الاطلاع على العلم المادي فقط في خلق السموات؛ لأن هذا التفكر وإن كان يفيد الإنسان في الدنيا، لكنه لا يفيده في الآخرة. لابد أن يكون التفكر هذا منتجا هذا القول والإقرار:
{رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا} [آل عمران:١٩١] .

إذا أثنى على المتفكرين في الخلق، فالمتفكرون في الشرع من باب أولى؛ لأن الشرع ليس أمرًا محسوسًا، فالتفكر فيه أبلغ في الإيمان من التفكر في الخلق؛ الخلق أمر محسوس كل إنسان يدركه، لكن حكم وأسرار الشرائع ليس لكل أحد أن يدركها.

كتاب تفسير القرآن الكريم – محمد بن صالح العثيمين – سورة آل عمران ج ٢ ص ٥٤٦

استرشاد العقل بالوحي في البناء الحضاري:

ركز القرآن على الارتباط الوثيق بين العقل والوحي وتكاملهما في البناء الحضاري، فأمر العقل بالبحث في أرجاء الكون مسترشدًا بهدي الوحي، كاشفًا عن سر الخلق والخالق، فالوحي يتبدى في كتاب الله وسنة رسوله، وهما باب النجاة، ومفتاح هذا الباب نور الفكر الصحيح، هذه الثنائية تجعل البناء الحضاري بناءً حصينًا ومتينًا، وهذا التكامل هو الذي كان الدعامة القوية لتحفيز المسلمين للبحث في أسرار هذا النظام الكوني، وتفعيل هذا البحث في إرساء سفينة الاستخلاف؛ لتبنى حضارة استمرت عدة قرون.

لذا وجب على المتفكر وهو يجول في رحاب الكون أن يستأنس بنور الوحي الذي يمده بحقيقة الأشياء، ويكشف الغطاء عنها، فيقوم عقله بسبر أغوارها والتأمل فيها، كما أن الوحي يبصر العقل بأمور الغيب التي لا طاقة له بها، وتوجيهه للسير في هذه الحياة وتوضيح مهمته فيها، ومن ثم تزويده بطاقة إيمانية ومعرفية يحتاجها في الطريق، فآيات الله المنصوصة في الكتاب هي المدخل الصحيح للعلم بطبيعة الكون وسننه ونظامه الخاص.

استرشاد العقل بالوحي في تجنب الشبهات:

الأصل هو الحرص على الاعتصام بالكتاب والسنة وهدي سلف الأمة.
الكتاب والسنة الكل؛ كل فئات الأمة تدعيه، كل يقول نحتج بالكتاب والسنة؛ لكن الشأن فيمن فهم فهما فاحتج بفهمه، فنقول له: هل كان هذا الفهم معروفًا عند السلف؟ فإذا لم يكون معروفًا دل على اطراحه.

إن الله جل وعلا يبتلي الأمة بالفتن والشبهات؛ الشبهات العلمية والشبهات أيضًا العملية.
وهنا ما الموقف من الشبهات العلمية وكذلك من الفتن العلمية؟
منهجك في التفكير إذا جاءت الشبهات العلمية أو المسائل المختلفة هي ألا تنظر إلى وجود النقول فحسب؛ بل تنظر إلى أن هذه النقول في فهمها قد دلّ الراسخون في العلم على أن هذا هو السلف لها؛ لأن التعبد قائم علينا بأن نكون مجتنبين للشبهات في كلام الله جل وعلا.

التفكر في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع:

من القواعد التي يُردّ بها على الملحدين قاعدة التفكر في المصنوع يدلّ على بعض صفات الصانع؛ لأن كل شيء يُوجد في المصنوع يدلّ على قدرة أو علم أو خبرة، أو حكمة عند الصانع، ومن هنا نعلم أن التفكر في المخلوق يدلّ على بعض صفات الخالق.

إذا علم هذا فإنه يقال لمن أنكر وجود الله تعالى وربوبيته: تفكر في خلقك ونفسك، وانظر مبدأ خلقك من نطفة ثم علقه ثم مُضغة ثم عظاماً، فكُسيت العظام لحماً، حتى صرت بشراً كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة.

أما يضطرك هذا التفكر والنظر إلى الاعتراف بالرب القادر على كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء، الحكيم في كل ما خلقه وصنعه وأتقنه؟ فلو اجتمع الخلق كلهم على النطفة التي جعلها الله مبدأ خلق الإنسان على أن ينقلوها في تلك الأطوار المتنوعة، أو يحفظوها في ذلك القرار المكين، ويجعلوا لها سمعاً وبصراً وعقلاً وقوىً باطنة وظاهرة، وينموها هذه التنمية العجيبة، ويركبوها هذا التركيب المنظم، ويرتبوا الأعضاء هذا الترتيب المحكم، فهل في اقتدارهم وفي استطاعتهم وعلومهم أن يصلوا إلى ذلك؟ {أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} [سورة الواقعة: ٥٨ – ٥٩] ولا شك أن العاقل المنصف إذا تفكر في ذلك دلّه وأوصله إلى الاعتراف بعظمة الخالق، وقدرة القادر وحكمة الحكيم وخبرة الخبير وعلم العليم.

كتاب كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٣

الاستفادة من عبادة التفكر في مواجهة الضلال:

يمكن الاستفادة من التفكر في هذا العصر لمواجهة موجة الضلال المنتشرة في العالم اليوم، فبالرغم من كل التطور العلمي والتكنولوجي الحاصل، إلا أن الإنسان اليوم بات أكثر بعدًا عن الفطرة السليمة، وعن اكتشاف العلاقة بينه وبين خالقه وبين الكون، وقد يكون أقرب الناس إلى التوحيد هم العلماء، كونهم أكثر الناس إعمالًا للعقل، أو اكتشافًا للحقائق؛ لذا نسمع بين الفينة والأخرى عن دخول عالم من الغرب إلى الإسلام نتيجة ما أوصلته إليه بحوثه التي تلخص له مفهوم الخالق الواحد القادر المبدع.

وفي هذا يقول أحد العلماء: «إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه، ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها، حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته؛ ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها، ولكن نرى آياته في أنفسنا، وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته» (١)

(١) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين حرره: جون كلوفر مونسيما، ترجمة: عبد المجيد سرحان الدمرداش ص٢١.

كلٌّ في ميدانه:

من معالم المنهج في التفكير أن الأمور تشتبه فيكون فيها معضلات؛ أمور سياسية صعبة، أمور علمية، أمور دعوية، ترجيح بين المصالح، أولويات؛ ماذا يُقدم؟ هنا كيف نفكر في حال وجود هذه الأشياء العظام.

نجد أن حال الكثيرين: أنه لا أحد يقول عن نفسه إنه قاصر عن تناول هذه المسائل العظام في الأمة؛ بل كل أحد يقول: أنا أفهم فيها أفهم في العلم بجميع أنواعه، أفهم في السياسة، أفهم في الأمور، أعرف مكائد الأعداء، أعرف المصالح والمفاسد، أعرف الأولويات، أعرف ماذا يُقدم، كل شيء يعرفه كل أحد. وهذا من الخلل الكبير في التفكير.

فإذن منهج التفكير في هذه الأمور أن نقتنع بأن لكل فن أو علم أو تخصص أو ميدان أهله وخاصته، وهذا في القرآن في قول الله جل وعلا: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء:٨٣].

تغليب جانب التفاؤل في التفكير:

من منهج التفكير لدى المسلم أن يغلب جانب التفاؤل، ويحذر من القنوت واليأس الذي يحمله على عمل أشياء منكرة، التفاؤل والإيجابية هذه تعطيك انطلاقة، فإذا ما نظرت إلى الواقع اليوم ثق أن الإسلام سينتصر وسيعود عزيزا كما كان؛ لأن الله جل وعلا يقول لنا: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَكَفَى بالله شهيدًا﴾ [الفتح:٨]،
فمن الذي شهد بهذه الشهادة؟ هو الله جل وعلا.

فإذن التفاؤل مطلوب، تفاءل، أدع، أثرّ في الناس دائما بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، كن متفائلا، لابد أن تحسن الظن بربك جل وعلا، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظُنَّ بي ما شاء)) (١)
وهذا يعطيك أوسع أبواب التفاؤل وله الأثر في الطمأنينة والنفسية، وله الأثر في العمل الإيجابي المثمر في الناس.

محاضرة منهج التفكير (كيف نفكر على وفق منهج السلف) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

(١) صحيح الجامع (٤٣١٦) أخرجه أحمد (١٦٠١٦)، والدارمي (٢٧٣١)، وابن حبان (٦٣٣)

النظر الصائب في وجود الحسنات والسيئات:

من المنهج الحسن أننا نشيع الخير والحسنات في الناس فيتأثروا بها وتعظم في أنفسهم، ونقلل الشر في الناس بذكر السيئات حتى لا يزيدوا شرًا؛ لذلك ثبت عليه الصَّلَاةُ والسَّلامُ أنه قال: من ((من قال: فسَد الناسُ فهو أَفْسَدُهُم) يعني هم أشدهم فسادًا.

وفي الضبط الثاني ((فهو أفسَدَهُم)) (١)؛ لأنك إذا قلت: الناس فسدوا، وهؤلاء فسدوا، وهؤلاء فيهم وفيهم، سيزداد الفساد، لن ينقص. لهذا فإننا نرجو أن يكون النظر صوابًا في وجود الحسنات والسيئات.

محاضرة منهج التفكير (كيف نفكر على وفق منهج السلف) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٣) كتاب البر والصلة والآداب، بلفظ (إذا قال الرجلُ: هلك الناسُ فهو أهلَكُهم)

التفكر ينبوع كل حال ومقام:

التفكر هو ينبوع كل حال ومقام؛ فمن تفكر في عظمة الله اكتسب التعظيم، ومن تفكر في قدرته استفاد التوكل، ومن تفكر في عذابه استفاد الخوف، ومن تفكر في رحمته استفاد الرجاء، ومن تفكر في الموت وما بعده استفاد قصر الأمل، ومن تفكر في ذنوبه اشتد خوفه وصغرت عنده نفسه.

كتاب القوانين الفقهية - أبو القاسم محمد ابن جزي الكلبي - ص٢٨٤

اللهمَّ ارزقنا التفكر في آياتك، وارزقنا الاتعاظ بذلك

وارزقنا الانتفاع بما أنزلت من وحيك، وما قدرته من قضائك

واغفر لنا وارحمنا ، إنك أنت الغفور الرحيم

دعاء للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين
كتاب الضياء اللامع من الخطب الجوامع
[ج٢ ص٣٤٣]